إنتفاضة الأقصى والنشاط السياسي للمرأة الفلسطينية

مصطفى عبد السلام زملط

الملخص:

تلقي الدراسة الضوء على النشاط السياسيللمرأة الفلسطينية خلال فترة انتفاضة الأقصى ومدى التغيير في الوعي السياسي لديها وانعكاسات ذلك على دورها في التنمية والمجتمع من ناحية مشاركتها في صنع القرار السياسي، وأثر العوامل والمؤثرات الخارجية عليها مثل الاحتلال والحصار والبطالة والفقر إلى آخر تلك العوامل التي تعيشها الارض المحتلة من عام ٢٠٠٠ حتى ٢٠١٠.

لقد غيرت انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠ شكل المشاركة السياسية للمرأة الفلسطينية التي سادت طوال فترة الاستقرار الأمني إن جاز التعبير بعد توقيع اتفاق أوسلو حتى اندلاع الانتفاضة، فقد أصبحت المرأة تشارك في المظاهرات والمسيرات والاعتصامات وغيرها من صور المقاومة.

Abstract

This study aims at concentrating on the political activity of the Palestinian woman during the period of Al Aqsa Revoluation "Entifadda", Which was lived by the Palestinian occupied land from 2000 to 2010.

The Palestinian woman was able to show the meaning of struggle, resistant and patience during the Jewish attack and siege.El Aqsa Entifadda on 2000 changed the shape of feminist participation which was obtained during the security stability after Osloo agreement. The Palestinian woman became able to participate on demonstration and turnout.

مشكلة البحث:

تناول البحث الحركة النسوية في فلسطين بعد عام ٢٠٠٠ وهو العام الذي اندلعت فيه انتفاضة الأقصى ، وسوف تناقش الدراسة المحددات المختلفة للنشاط النسائي في هذه الفترة وإلقاء الضوء على أهم التحديات التي واجهتها ،ومعرفة حجم الأثر الذي تركته الانتفاضة على الحركة النسوية في فلسطين خلال فترة الدراسة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث من كونه جزء من رسالة مقدمة من الباحث لنيل درجة الدكتوراه في عام ٢٠١٤، وهي خلاصة دراسة عميقة قام بها على مدار أربع سنوات ، كما تعتبر فترة الدراسة من أهم الفترات التي شهد فيها الواقع الفلسطيني تغيراً ملموساً بسبب انتفاضة الأقصى التي أعادت صورة المحتل إلى حقيقتها وكشفت الكذب والخداع الذي كان يتستر من خلفه المحتل والإدعاءات الكاذبة بالسلام ورغبته فيه، إن أهمية الدراسة تكمن في ابراز الدور الفاعل للنشاط السياسي للمرأة وأثر انتفاضة الأقصى عليه.

أسئلة البحث:

١. ما هي الوسائل التي تسعى الحركة النسوية من خلالها إلى تفعيل دورها السياسي؟
٢. ما أثر انتفاضة الاقصى على مشاركة المرأة سياسياً؟
٣. معرفة شكل وحجم الخبرة التي اكتسبتها المرأة الفلسطينية من الانتفاضة؟
٤. الأهداف التي تسعى المرأة إلى تحقيقها في المستقبل بعد أن اكتسبت الخبرة الكافية بفضل التفاعل مع المجتمع والاحتكاك مع الواقع؟
٥. أهم التحديات التي تواجهها الحركة النسوية في فلسطين.

أهداف البحث:

١. التعرف على تطور الوعي السياسي للمرأة في فلسطين قبل وبعد اندلاع الانتفاضة في عام ٢٠٠٠م.
٢. التعرف على أثر ذلك التطور على نشاط المرأة السياسي في المجتمع الفلسطيني.
٣. الوقوف على أهم المعوقات التي واجهت الحركة النسوية.

حدود البحث:

الحد الزمني: دراسة أثر انتفاضة الاقصى على مشاركة المرأة السياسية في فلسطين من العام ٢٠٠٠م وحتى ٢٠١٠.

الحد المكاني: مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة.

منهجية البحث:

سوف يتم استخدام المنهج الوصفي(Descriptive Research) بصورته الكيفية للحصول على البيانات الأولية والمعلومات الثانوية اللازمة للتحليل بما يتناسب ويتلاءم مع أسئلة الدراسة وفرضياتها وأهدافها.علماً بأن البحث الوصفي يقوم بوصف الأوضاع والأحداث والظروف الحالية ، فهو يستكشف ويتعرف ويفسر إلى أن يخرج باستبصارات جديدة.

١ـ المبحث الأول: انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠:

في ٢٨ سبتمبر من عام ٢٠٠٠ قام "أرئيل شارون رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق" بزيارة المسجد الأقصى المبارك، تحت حراسة أكثر من ألفي ضابط وجندي إسرائيلي. وما أن وصل الخبر إلى جموع المصلين في داخل المسجد حتى هبوا لمواجهة هذا العدد الكبير من الجنود المسلحين ،في محاولة لمنع شارون من دخول باحة المسجد، ولقد استخدم المصلين الحجارة والأحذية في مواجهة جنود الاحتلال الإسرائيلي.

كانت تلك بمثابة الشعلة الأولى لانطلاق انتفاضة الأقصى، حيث قام الجيش الإسرائيلي بارتكاب مجزرة في باحة المسجد الأقصى المبارك راح حصيلتها ثمانية شهداء وسبعة فقدوا البصر وأكثر من مائتين وعشرون جريحاً.

ويأتي هذا الحدث في ظل تعثرعملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين والتي شهدت جموداً كبيراً في السنوات التي سبقت انتفاضة الأقصى حيث ساد الإحباط لدى الفلسطينيين نتيجة الممارسات الإسرائيلية المستمرة في خرقهم للاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمت بين الطرفين في "أوسلو".

كما أن وصول شخصية مثل "آرئيل شارون" إلى سدة الحكم من خلال الانتخابات في إسرائيل وتوليه لمنصب رئيس الوزراء فيما بعد، وهو المنصب الذي يمثل السلطة التنفيذية في النظام الإسرائيلي كان أكبر تأكيد لدى المواطن الفلسطيني

بأن الشعب الإسرائيلي لا يرغب في السلام لما لهذه الشخصية من تاريخ معروف في ارتكابه للمجازر بحق المدنيين.

لقد تسارعت الأحداث في داخل المدن والقرى الفلسطينية، وانتشر الغضب الجماهيري معظم أنحاء الأرض المحتلة بما في ذلك المناطق المحتلة عام ، ولم يتوان الاحتلال الإسرائيلي عن استخدام كل الوسائل غير المشروعة في قمعه للمواجهات العنيفة في القدس والضفة الغربية وقطاع غزة وداخل الخط الأخضر، حيث استخدم الاحتلال الإسرائيلي الطائرات الحربية والدبابات والقذائف الثقيلة في قصفه للمدن والقرى الفلسطينية، وإطلاق النار العشوائي تجاه منازل الفلسطينيين مما أدى إلى سقوط آلاف الشهداء والجرحى.

١-١: تداعيات انتفاضة الأقصى على المجتمع الفلسطيني:

يمكننا تخيل واقع المجتمع الفلسطيني بعدما أصبحت الصورة واضحة في أذهاننا عن الحياة اليومية للإنسان الفلسطيني في ظل الانتفاضة، وفي ظل التهديد الذي يتعرض له ليس فقط خارج البيت بل وفي داخله أيضاً، فهو معرض لإطلاق النار العشوائي الذي لا موعد له ، وأيضاً قد يكون هدفاً لقصف جوي أو مدفعي إذا كان مارً في الشارع أو في العمل أو في أي مكان، فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر عندما قامت قوات الاحتلال الإسرائيلي بمحاولة فاشلة لاغتيال الشيخ عبد العزيز الرنتيسي، أحد أبرز قادة حماس في قطاع غزة ، بالقرب من بوابة مستشفى الشفاء بمدينة غزة في العاشر من يونيو من عام ٢٠٠٣، استشهد خلالها ثلاثة مواطنين وأصيب أكثر من عشرين آخرين جراء قصف السيارة التي كانت تقله ، منهم سيدة كانت تمر بالصدفة في المكان برفقة ابنتها، قضت السيدة على الفور جراء الشضايا ،كما أصيبت ابنتها بحالة من الذعر.

وهناك حوادث كثيرة مشابهة ذهب ضحيتها كثير من المدنيين نتيجة تواجدهم بالصدفة في المكان الذي تواجد فيه الشخص المستهدف من قبل قوات الاحتلال.

وبناء عليه يمكننا أن ندرك خطورة الوضع الراهن آنذاك وصعوبة التنقل بأمان في شوارع المدن الفلسطينية، كما أن قوات الاحتلال شرعت في أثناء الانتفاضة بسياسة تدعو إلى شل عمل المؤسسات التابعة للسلطة الفلسطينية من خلال إبلاغ

الجانب الفلسطيني مسبقاً بنيتها في قصف هذه المؤسسة او تلك ، أو حتى بدون تحديد العنوان أو الزمان.

ولذلك اضطر العديد من المواطنين الذين يعملون في أماكن بالقرب من مراكز الشرطة أو أي جهاز أمني آخر من أن يتعطلوا عن أعمالهم من خلال عملية كانت تعرف باسم "الإخلاء" أي إخلاء المؤسسة من العاملين فيها للمحافظة على سلامتهم.

١-٢: تداعيات انتفاضة الأقصى على المرأة الفلسطينية:

لا يمكننا النظر إلى المرأة وكأنها وحدة مستقلة عن ما يحدث في المجتمع الفلسطيني العام، فأداء المرأة بمفرداتها الإيجابية والسلبية إنما تعد انعكاساً ومحصلة نهائية لمجموعة هائلة من العوامل، بعضها ذاتي يرتبط مباشرة بالدافعية نحو الأداء المهني وإنجازاته والآخر موضوعي يتصل بالعلاقة بين المرأة بحسب الوظيفة التي تؤديها وبين تلك العوامل المؤثرة عليه كمواعيد العمل ومشكلاته، وهذا قد يساعدنا على تفسير ميول المرأة نحو نشاط معين دون الآخر و مهنة معينة دون المهن الأخرى ليبقى الأمر متعلقاً بهامش الحرية المتاح لها سواء في المجتمع العام أو الأسرة أو بيئة العمل.

ودون الخوض في تفاصيل الواقع الذي تعيشه المرأة في الأرض المحتلة في ظل الانتفاضة فإنه يمكننا أن نشعر بالأزمة المجتمعية الحادة التي تنعكس بالضرورة على كافة الوحدات الاجتماعية والمؤسساتية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تأثير الانتفاضة على المرأة العاملة تختلف في مضامينها ودرجاتها عن الشرائح الاجتماعية الأخرى ، في ضوء ازدواجية الدور العائلي بأوجهه المتعددة والدور المهني للمتطلبات الرسمية القانونية، فهنا تزداد الأعباء على المرأة مع ملاحظة أن العمل في حد ذاته لا يعد من وجهة نظرنا أحد الأعباء إلا أنه يبدو كذلك بفعل العلاقة غير المتوازنة بين المرأة والفئات الأخرى بدءاً من الوالد والزوج حتى الأبناء والأقارب.

٢- المبحث الثاني: الحركة النسوية خلال انتفاضة الأقصى:

إن ما تعرضت له المناطق الخاضعة للسلطة الفلسطينية من عدوان قاسٍ من قبل الاحتلال الإسرائيلي خلال الانتفاضة ، يعتبر كارثياً بكل المقاييس، حيث صنفت

بعض المدن التي تعرضت للقصف بأنها مناطق منكوبة، لما تعرضت له من عنف على كافة المحاور، البرية والجوية والبحرية، استخدم فيها المحتل أسلحة محرمة دولياً ضد شعب أعزل يعيش في حصار دائم.

أدى ذلك إلى حرمان المرأة من أبسط حقوقها في الحياة من أمن واستقرار وتنقل ورعاية وتعليم وصحة، لقد اضطرت المرأة في فلسطين أن تعيش ظروف مختلفة عن باقي النساء في الوطن العربي، حيث عانت من حالة من الخوف وانعدام الأمل ، وفقدانها للزوج أو الأب أو الأبناء، ترك ذلك كله أثراً سلبياً في حالتها النفسية الاجتماعية، وعليه قامت المؤسسات النسوية في فلسطين خلال الانتفاضة الى العمل على تخفيف تلك الآثار، ومحاولة لملمة جراحها وتقليص حجم معاناتها من جميع النواحي الصحية والنفسية والاجتماعية والقانونية.

فعلى الصعيد الصحي نظمت المراكز النسوية و المؤسسات العديد من الطواقم الصحية التي كانت تمد يد العون للأسرة الفلسطينية ، وتوفير احتياجاتها من الأدوية والمساعدات الطبية والرعاية الأولية للأم الحامل وللمواليد، والتي كان لها الأثر الواضح في رفع الروح المعنوية لدى النساء في فلسطين.

أما على الجانب النفسي فقد عملت معظم الهيئات والمنظمات النسوية إلى إنشاء مراكز تقدم الاستشارات النفسية اللازمة للسيدات والأطفال وحتى الشباب وخصوصاً أولئك الذين تعرضوا لصدمات عصبية بسبب فقدانهم لأحبائهم وتتمثل تلك المساعدات النفسية المقدمة بما يلي:

١. تنظيم زيارات منزلية للحالات والأسر المتضررة من جراء العدوان الإسرائيلي.
٢. عمل جلسات تفريغ انفعالي للسيدات والأطفال.
٣. تنظيم أيام مفتوحة وترفيهية للسيدات والأطفال.
٤. تقديم محاضرات وندوات تثقيفية للسيدات في كيفية التعامل مع الأطفال وقت الأزمات.

وعلى الصعيد الاجتماعي فلقد ظهرت مشكلات اجتماعية عديدة تتعلق بالأسرة والأقارب والجيران، ففي بعض الأحيان تضطر الأسرة إلى الرحيل بسبب التهديد الذي يتعرض له المنزل المجاور من قبل الطائرة الحربية الإسرائيلية ، لينتهي بهم المطاف إلى الإقامة في بيت العائلة أو بيوت الأقارب وهذا كله ترك أثر سلبي في حياة المرأة والأطفال.

فعملت المراكز النسوية على تقديم الخدمات اللازمة من إرشاد وتوجيه ومساعدات عينية وتوعوية للنساء وكان أهمها:

١. توزيع الطرود التموينية والصحية للأسر المحتاجة سواء كان الضرر مباشر أو غير مباشر.
٢. محاولة توفير فرص عمل لبعض السيدات أو ربات الأسر اللاتي يمتهن بعض الحرف اليدوية مثل التطريز والخياطة في البيوت.

أما من الناحية القانونية، فإن الضفة الغربية وقطاع غزة لا تزالا تحت الاحتلال الفعلي ، حتى وإن انسحب الجيش الإسرائيلي من كثير من المناطق ، إلا أنه لا يزال يمارس حصاره المحكم على جميع مدن الضفة وقطاع غزة بالكامل.

عاش الفلسطينيون في الضفة وغزة ظروف قاسية ، حيث منع التجول في جميع المدن الفلسطينية في الضفة منذ أواخر عام ٢٠٠٢ وكانت تقوم سلطات الاحتلال برفعه بمعدل مرة واحدة كل ثلاثة إلى أربعة أيام لإتاحة المجال أمام الناس للتزود بالمواد الأساسية، كانت هذه المهمة غالباً ما تلقى على عاتق النساء، أما في غزة كان الوضع أسوأ بكثير ، حيث قامت سلطات الاحتلال بقسمه إلى نصفين وعزل كل قسم عن الآخر، وأصبح المواطنون يقفون بالساعات وأحياناً يستمر الأمر إلى أيام حتى يتمكنوا من التنقل من جنوب القطاع إلى شماله أو العكس.

٣ـ المبحث الثالث: المرأة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة:

تعيش المرأة الفلسطينية في الأرض المحتلة في ظل مفاهيم اجتماعية تحد من مكانتها داخل الأسرة ، ويرجع ذلك إلى التمييز الاجتماعي القائم على أساس الجنس، حيث تتحكم الأعراف والتقاليد والدين والقوانين الوضعية في واقع المرأة، مما يحد من وضعها داخل المجتمع كفرد متساوي الحقوق والواجبات مع الرجل، ولعل التغيير الذي حدث في السلوك الاجتماعي فيما بعد كان سببه التعليم وانتشاره داخل الأرض المحتلة، فقد مر التعليم في فلسطين بعدد من المراحل وتأثر بالظروف والأوضاع السياسية المختلفة، وقد كانت الأوضاع التعليمية انعكاساً للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

اهتم النظام الأردني بمسألة التعليم في الضفة الغربية والقدس الشرقية إبان مرحلة الارتباط ، مما أدى إلى زيادة نسبة النساء المتعلمات في الضفة الغربية، وكذلك

الحال في قطاع غزة، فقد عملت الإدارة المصرية على تحسين أوضاع التعليم، إلى جانب الخدمات التعليمية التي كانت تقدمها وكالة الغوث الدولية ، لتوفير التعليم لأكبر عدد ممكن من أبناء اللاجئين الذين هاجروا داخل الوطن وخارجه، أما في داخل الخط الأخضر فلقد حاول الاحتلال التأثير على أبناء فلسطين من خلال المناهج الدراسية ولكنه لم يستطع أن يمحو هوية المواطن الفلسطيني، كما أن المواطن لم ينس ثقافته وحضارته.

لقد كان التعليم مجانياً لجميع المراحل وكذلك الكتب كانت توزع مجاناً على الطلبة سواء في المدارس التابعة للإدارة المصرية أو في مدارس وكالة الغوث، أو في المدارس التابعة للإدارة الأردنية في الضفة الغربية والقدس، كما شهدت تلك الفترة اهتماماً كبيراً في تعليم الإناث في الضفة الغربية وقطاع غزة، فقد بلغت نسبة الطالبات إلى الطلاب في قطاع غزة حوالي ٤٨% عام ١٩٦٧.

وعلى الرغم من تحسن معدلات التحاق المرأة بالتعليم في المراحل الأساسية واقترابها من نسبة تعليم الذكور، وتحسن نسبة التحاقها بالمرحلة الثانوية وبالتعليم الجامعي، إلا أنه كانت هناك صعوبات تواجه تعليم المرأة في فلسطين، وتتشابه هذه المعوقات مع المعوقات في الدول العربية بنسب متفاوتة نظراً لتقارب الواقع الاجتماعي والثقافي، وإن كانت تجربة الاحتلال قد أضفت على التعليم في فلسطين بعض الخصوصية، وأعطت الشعب الفلسطيني

نضجاً سياسياً ووعياً فكرياً ميزته عن غيره من المجتمعات العربية'وبطبيعة الحال شهدت المرحلة التي كانت نسبة النساء المتعلمات فيها منخفضة انخفاضاً في مساهمة النساء في الحياة السياسية إلى درجة كبيرة، سواء كان النشاط السياسي رسمياً متمثلاً بالبرلمانات والمجالس المحلية أو المشاركة في المناصب التنفيذية العليا والأجهزة والمناصب السياسية.

إن الظروف السياسية التي مرت بها المرأة الفلسطينية والتي جعلتها تشارك في مقاومة الاحتلال أثرت بشكل ملموس في نشاطها السياسي مما زاد الوعي السياسي لديها، ففي عام ١٩٩٦م مارس الشعب الفلسطيني ولأول مرة في تاريخه حقه في إجراء انتخابات عامة شارك فيها أكثر من مليون فلسطيني داخل الأرض المحتلة، تميزت تلك التجربة ليس فقط بكونها الأولى فقط ، بل بالنسبة الكبيرة للنساء

المشاركات فيها، حيث بلغت نسبة تسجيل النساء في القوائم الانتخابية حوالي ٤٩% من إجمالي المسجلين.

لقد أشار قسم النهوض بالمرأة بالأمم المتحدة "DAW" إلى عدد من المعوقات لمشاركة المرأة سياسياً والتي تحول دون وصولها إلى المناصب البرلمانية والوزارية من أهمها:

- القصر النسبي لمشاركة المرأة سياسياً في التاريخ المعاصر، ونقص الخبرة في الحملات الانتخابية، والحوار العام، والتعامل مع وسائل الإعلام.
- سيادة الاتجاهات السلبية نحو مشاركة المرأة في الحياة العامة ونقص الثقة، والمؤازرة للمرشحات والسياسيات من السيدات من جانب جمهور الناخبين.
- صعوبة تجربة المرأة في الموازنة بين حياتها السياسية وبين أداء دورها التقليدي في الأسرة والمجتمع.
- الاعتماد الاقتصادي على الآخرين، ونقص الموارد المالية للمرأة.
- عدم كفاية التعليم بشكل عام، والتعليم الأساسي بشكل خاص.

أضف الى ذلك أن المرأة اللاجئة في داخل الأرض المحتلة وهي النسبة الأكبر في الضفة الغربية وقطاع غزة، تعيش في بيوت صغيرة متلاصقة، لا تزيد عدد غرف المنزل الواحد للعائلات الكبيرة عن ثلاث غرف، وغالبية البيوت تتألف من غرفتين أو غرفة واحدة ،ونرى هذه الحالة بوضوح أكثر داخل المخيمات، وبسبب التكاثر الطبيعي للسكان تلجأ العديد من الأسر الجديدة إلى الانسحاب من العائلة الممتدة وتكوين أسرة نووية خارج المخيم.

٣-١: المرأة الفلسطينية في مخيمات اللجوء:

بشكل عام تفتقر المخيمات الفلسطينية في داخل الأرض المحتلة وخارجها إلى خدمات البنية التحتية، إضافة إلى نقص توفر مياه الشرب، كما تفتقر المخيمات إلى مساحات داخلها أو حولها، سواء للزراعة أو كحدائق عامة أو ساحات للعب الأطفال ، لذلك فإن سكان المخيم محرومون من أماكن تتيح لهم حرية الحركة والرفاهية، مما يضعهم في شروط إنسانية قاسية تنعكس سلباً على نمط حياتهم اليومية وأسلوب معيشتهم، ويعاني النساء والأطفال معاناة شديدة جراء هذا الوضع ،ومن أهم العوامل التي تحدد مكانة المرأة ونفوذها في العائلة قدرتها على الوصول للموارد المالية وتحسين الوضع الاقتصادي ،وقد حرصت المرأة اللاجئة منذ التغيير الجذري الذي

طرأ على نمط حياتها بفعل التشرد وفقدان الأملاك على التكيف مع الواقع الناشئ والبحث عن سبل جديدة للمساهمة في دخل العائلة من خلال أنماط مختلفة للعمل، خصوصاً أن مجمل اللاجئين ينتمون إلى مجتمع زراعي.

٣-٢: انتفاضة الأقصى والنشاط العسكري النسائي في فلسطين:

كانت المرأة الفلسطينية ولازالت حاضرةً في كل مرحلة من مراحل نضال الشعب الفلسطيني، حيث كانت تثبت في كل مرة أنها على قدر المسؤولية وعلى أتم الاستعداد للتضحية والفداء، في سبيل قضيتها وحريتها.

وكما رأيناها تشارك في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فإننا أيضاً نراها في المجال العسكري الفدائي وكما استعرضنا سابقاً فإن تاريخ المرأة الفلسطينية حافل بالتضحيات منذ أن حط الاستعمار بظلاله على أرض فلسطين في مطلع القرن العشرين.

ولاتزال الذاكرة الفلسطينية تحظى بمئات النساء الفلسطينيات اللاتي شاركن بأعمال فدائية في صفوف الثورة الفلسطينية مثل: دلال المغربي، شادية أبو غزالة، عطاف عليان،ومع اندلاع انتفاضة الأقصى وإصرار الجيش الإسرائيلي على الاستمرار في جرائمه ضد الإنسانية، وأمام الصمت العالمي والعربي للانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان، لم تجد مجموعة من الفتيات طريقة للنيل من هذا العدو سوى بالتضحية بأرواحهن من خلال ظاهرة جديدة في العمل النضالي سميت بظاهرة "الاستشهاديات" ، وهن الفلسطينيات اللاتي قمن بعمليات تفجير استهدفت الجنود الصهاينة على الحواجز العسكرية أو في أي مكان كانوا يتواجدون فيه، هذا وقد بلغ إجمالي الشهيدات منذ عام (٢٠٠٠ لغاية ٢٠٠٣) حوالي ١٩٠ شهيدة وقد تضاعف عدد الشهيدات تقريباً منذ عام ٢٠٠٣ ، حيث استشهد العدد الأكبر منهن أثناء العدوان على غزة في عام ٢٠٠٩، حيث بلغ عدد الشهيدات حوالي ١٣٠ امرأة .

٤- المبحث الرابع : أثر انتفاضة الأقصى في بروز دور المرأة في فلسطين:

من الأمور التي ساعدت المرأة على الحصول على حقوقها الاجتماعية والسياسية هو انشغال الرجل في الحرب ومقارعة الاحتلال، ولقد لاحظنا هذه الحالة من خلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٨، والانتفاضة الثانية عام ٢٠٠٠

"انتفاضة الأقصى"، فكان اشتراك أكثر الفلسطينيين في الحرب قد أوجب على المجتمع الفلسطيني أن يستعين بالمرأة ، بل شمل ذلك العمل العسكري أيضاً، الذي كان مقصوراً على الرجال في وقت ما، فكانت المرأة في الحقل والمعمل والمحل والمدرسة والجامعة والمؤسسات الصناعية والخدمية، وهذه الصورة كانت في الغرب أيضاً فعندما كانت الحروب محتدمة بين الدول الأوروبية تبوأت المرأة مركزاً مؤثراً في المجتمع ورفع من شأنها في المجتمع ودخلت مسالك الحياة جميعها، وهذا الوضع جعلها في موقع مؤثر ومتميز ، تمكنت من خلاله من صياغة القرارات والتشريعات لصالحها، أو أن المجتمع أصبح أمام حقيقة ثابتة لابد من الاعتراف بها، ولما كانت الدول الأوروبية متساوية في هذه الحالة اتصفت حقوق المرأة بالصفة الدولية العامة، وكلما تقاربت المجتمعات الأوروبية من بعضها منحت حقوق المرأة الصفة "الدولية، وبالنظر إلى أن ما يطبق في الغرب من قواعد قانونية يطبق على المجتمعات الأخرى، لهذا أصبحت مسألة حقوق المرأة حقوقاً دوليةً معترف بها.

٥ـ المبحث الخامس:التطورات الإقليمية والدولية التي أحدثتها انتفاضة الأقصى:

لقد كان منطق الرئيس الراحل ياسر عرفات يقول:"إن عدم انعقاد القمة أفضل من أن تعقد وتنتهي إلى الفشل المحتم، لأن فشل القمة سيكون عود الثقاب الذي سيشعل البارود"، ويأتي هذا في أعقاب اليوم الأول الذي بدأت فيه انتفاضة الأقصى، وعندما حذر الرئيس الراحل ياسر عرفات من زيارة شارون إلى الحرم القدسي، سجل لدى الطرفين الأمريكي والإسرائيلي أنه الأحرص على عملية السلام، حيث أنه كان يدرك تماماً مدى حساسية الأمر بالنسبة للجمهور الفلسطيني والعربي والإسلامي.

ولكن كانت النوايا الإسرائيلية المبيتة، التي استهدفت تفجر الأوضاع والانتقام من الفشل الذريع الذي انتهت إليه قمة "كامب ديفيد" عام ٢٠٠٠م والتي كانت برعاية أمريكية، حيث استمرت حوالي خمسة عشر يوماً، تلك القمة التي فاجأت الإدارة الأمريكية من جهة والقيادة الإسرائيلية من جهة أخرى والتي تمثلت في تمسك الرئيس الفلسطيني بالمواقف الفلسطينية الثابتة بالرغم من الضغوط التي مورست على الطرف الفلسطيني.

لقد بات هم القوى الدولية والإقليمية هو وقف الانتفاضة في حينه، والذي وصفوه بالعنف المتبادل، حيث كان النشاط الأمريكي في المنطقة هو الأبرز تمثل في

زيارات "انطوني زيني" المبعوث الأمريكي ، من أجل وقف الأحداث المتصاعدة يوماً بعد يوم، وأيضاً كان هناك العديد من المبعوثين الدوليين، حيث بدأ الضغط المعاكس على القيادة الفلسطينية لوقف الانتفاضة وبالشروط الأمريكية الإسرائيلية، حيث أتهم الإسرائيليون الرئيس عرفات وبعض أعضاء قيادات الأجهزة الأمنية الفلسطينية بالوقوف وراء العمليات الفدائية التي تحدث داخل إسرائيل، سواء بإعطاء الأوامر أو بالتمويل لتنفيذ هذه العمليات، وشنت حملة إعلامية ضد الرئيس عرفات حتى انتهى الحال بحصاره والتهديد بقتله وإبعاده.

أما مجلس الأمن الدولي فقد أدان إفراط إسرائيل لاستخدام القوة ضد الفلسطينيين دون إقرار حقيقي لردع إسرائيل بوقف الأعمال العدوانية ضد الفلسطينيين، وفي إطار محاولة لإنجاز التسوية قبل الانتخابات الإسرائيلية ، عقدت في طابا المصرية مباحثات من (٢٠-٢٧ يناير ٢٠٠١) جمعت فيها القيادة المصرية كل من الطرف الفلسطيني والإسرائيلي بهدف الوصول إلى تسوية نهائية ولكن دون جدوى ، ولقد صدر بيان مشترك ذكر بأن الطرفين كان أقرب من أي وقت مضى للوصول إلى تسوية وأنهما سيواصلان المحادثات بعد الانتخابات الإسرائيلية، ولم يكتب لهذه المفاوضات النجاح مرة أخرى وتوقفت العملية السياسية واقتصرت فقط على التنسيق للحياة اليومية.

إن فوز أرئيل شارون برئاسة الحكومة في إسرائيل لدليل واضح كما أشرنا سابقاً إلى ازدياد حجم التطرف اليميني الإسرائيلي داخل المجتمع الإسرائيلي، حيث أنه وعد الإسرائيليين بوقف الانتفاضة وتحقيق الأمن خلال مئة يوم، ولكنه فشل بذلك حيث أن المقاومة الفلسطينية وجهت العديد من الضربات القاسية في العمق الإسرائيلي خلال تلك الفترة .

أما على الصعيد الدولي فقد كانت أهم القرارات التي صدرت عن مجلس الأمن بخصوص الانتفاضة في تلك الفترة هي:

- القرار رقم ١٣٢٢ الصادر في ٢٠٠٠/١٠/٧، شجب الزيارة الاستفزازية للحرم الشريف.

- القرار رقم ١٣٩٧ الصادر في ٢٠٠٢/٢/١٣، أول قرار لمجلس الأمن يشير إلى دولة فلسطين.
- القرار رقم ١٤٠٢ الصادر في ٢٠٠٢/٣/٣٠، وقف إطلاق النار وانسحاب القوات الإسرائيلية من المدن الفلسطينية.
- القرار رقم ١٤٠٥ الصادر في ٢٠٠٢/٤/٢٠، الترحيب بإرسال الأمم المتحدة بعثة لتقصي الحقائق إلى مخيم جنين.
- القرار رقم ١٤٣٥ الصادر في ٢٠٠٢/٩/٢٤، المطالبة برفع الحصار العسكري المفروض على مقر الرئيس الراحل عرفات.

النتائج:

رصد الباحث أثر العوامل المختلفة على مسيرة المرأة في فلسطين ، والتي كانت سبباً في توجيه نشاطها السياسي، وكان العامل الاقتصادي من أهم الاسباب التي أدت الى تحقيق المشاركة الفعلية للمرأة في المعترك السياسي، حيث أن استقلالها المالي كان محفزاً قوياً وايجابياً ، وفي المقابل فان محدودية مواردها المالية والتي تصل في بعض الاحيان الى معدلات الفقر ، كانت من العوامل السلبية التي صنفها الباحث من المعيقات التي اعترضت مسيرة المرأة السياسية في فلسطين.

ولايقل تأثير العامل الاقتصادي عن الاجتماعي ، فالمجتمع الفلسطيني لايزال يعتبر من المجتمعات المحافظة، والتي تتمسك بالعادات والتقاليد وترفض التغيير، كما انه يعتبر مجتمع أبوي يسيطر فيه الرجل على زمام الامور، مما جعل المرأة تابعة في معظم الاحيان ، حتى في القرارات التي تتعلق بمصيرها ومستقبلها.

خلصت الدراسة الى أن انتفاضة الاقصى كان لها الاثر البالغ في زيادة نشاط المرأة الفلسطينية خلال الفترة مابين عام (٢٠٠٠-٢٠١٠) ، فلو لم تكن انتفاضة الاقصى لوجدنا المرأة في فلسطين منشغلتاً في القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بنسب أكبر من اهتمامها بالقضايا السياسية ، كما كان الحال قبل عام ٢٠٠٠م ، وعلى الرغم من ذلك الدور السياسي الواضح الذي لعبته المرأة الفلسطينية خلال انتفاضة الاقصى ، الا انه لم يحقق المستوى المطلوب الذي كانت تسعى اليه ولم يلبي طموحها.

أظهرت الدراسة مدى الاختلالف الكبير لدور المنظمات والمؤسسات النسائية في داخل المجتمع الفلسطيني ، فلم يعد دورها مقتصراً على العمليات الاغاثية وتقديم المساعدات، انما تطور ليصل الى حد الحشد السياسي والتأييد والتوجيه المعنوي داخل أوساط النساء، استفادت القوى والحركات السياسية والتحررية والاحزاب داخل الارض المحتلة من تلك الطاقات النسائية الفاعلة، وحاولت أن تستثمرها لخدمة مشاريعها داخل فلسطين ، وهذا ماحدث بالفعل.

كما خلص الباحث الى أهمية الاعلام وتأثيره على مجريات الاحداث ، وقدرته على توجيه الرأي العام، وفي هذا الصدد كان للمرأة دوراً رائداً من خلال مشاركتها في الحملات الاعلامية الموجهة، وأيضاً من خلال عملها في المحطات والقنوات الفضائية أثناء تغطيتها لاحداث انتفاضة الاقصى.

وجد الباحث ماميز المرأة الفلسطينية عن نظيراتها في الوطن العربي من الناحية السياسية هو استمرار حالة الاحتلال لفلسطين، واستمرار تطور أدوات نضالها السياسي في وجهه وعدم الاستسلام والرضوخ للامر الواقع، مما أكسبها تعاطفا دولياً واقليمياً ، وأتاح لها الفرصة لايصال صوتها في المحافل الدولية.

أدرك الباحث خطورة ما آلت اليه الامور بسبب الانقسام الفلسطيني منذ عام ٢٠٠٧ م ، والذي زاد من تعقيد علاقة المرأة مع محيطها المحلي على المستوى الرسمي وغي الرسمي ، مما أوجب ضرورة التحرك وبسرعة من أجل انهاء ذلك النقسام الذي يكاد يقضي على المشروع الوطني الفلسطيني بأكمله، ان الخطط الوطنية الفلسطينية تحتاج الى شروط ومقومات لضمان نجاحها وحالة الانقسام جعلت من تحقيق تلك الخطط أمراً صعباً في ظل تشتت الأولويات.

كما أشار الباحث الى أثر العوامل الخارجية في تحديد الخطط والاستراتيجيات التنموية النسائية على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي ، وكيفية اسهام مصادر التمويل الاجنبية في التحكم بتلك النشاطات بما يتلائم مع اهدافها، والتي تتعارض في كثير من الاحيان مع احتياجات المرأة في فلسطين ، ولا يمكننا أن نجد هذا العامل المهم في الابحاث والدراسات التي تعدها المراكز والهيئات النسوية والتي تعنى بشؤون المرأة وقضاياها ، لسبب بسيط وهو أن معظمها يعتمد على المشاريع الأجنبية.

التوصيات:

بعدما تعرضنا الى النتائج كان لابد من طرح بعض التوصيات التي حاولنا من خلالها أن نضع أيدينا على مواطن الخلل ومحاولة ايجاد الحلول ، بهدف الوصول الى مشاركة أفضل للمرأة سياسياً بمعناها المتفاعل مع تطورات الاحداث ومن هذه التوصيات:

- ضرورة انهاء الانقسام الفلسطيني وعلى الفور ، والاستفادة من الجهود العربية من أجل اتمام المصالحة، وعلى رأسها الجهود التي تبذلها جمهورية مصر العربية، لادراك الجميع بأن استمرار الانقسام يعني الابتعاد عن القضية المركزية والمتمثلة في تحرير الارض والانسان.
- على الرغم من الدور الكبير الذي لعبته الهيئات الرسمية من أجل زيادة مساهمة المرأة في صنع القرار السياسي الا ان ما بذل لم يكن كافيا، ولابد من البحث عن الوسائل المناسبة لزيادة عدد النساء في مراكز صنع القرار ، ولا يمكن تحقيق ذلك الا من خلال التعديلات التشريعية على القوانين وخصوصاً تلك المتعلقة بالاحزاب وموقع المرأة منها.
- تتحمل المنظمات والمؤسسات النسوية العاملة في فلسطين جزأً كبيراً من المسؤلية ، فكما ينسب اليها الفضل في رفع دور المرأة ومساعدتها في تحقيق النجاحات على المستوى السياسي ، أيضاً تتحمل تلك المؤسسات مسؤولية تراجع ذلك الدور السياسي في بعض الاحيان ، التي كان من المفروض أن تكون حاضرتاً وبشدة وخصوصاً في المناسبات التي تخص المرأة.
- على مؤسسات المجتمع المدني أن تزيد من رقعة انتشارها ، لاتاحة الفرصة للجميع للمشاركة في نشاطاتها ، وأن لاتقتصر المشاركة على نخبة معينة من المجتمع نراها في كل المناسبات، في تغييب واضح لباقي القوى النسائية الفاعلة.
- ينبغي اتاحة الفرصة أمام الجيل الجديد من الفتيات من تفريغ طاقاتهم من خلال العمل الجماعي المنظم والموجه في اطار الخطط الحكومية للتنمية السياسية.
- ضرورة الاستفادة من التقدم التكنولوجي الذي وصلت اليه وسائل الاعلام المرئية والمسموعة ، من أجل توعية المرأة الفلسطينية سياسياً، وتعريفها بحقوقها وواجباتها الوطنية ، لكي لاتكون ضحية لتأثيرات خارجية أو داخلية قد تحيدها عن السياق الوطني.

المراجع العربية:

١. المرأة الفلسطينية بين الحصار والحقوق الاجتماعية ، ريما كتانة نزال، فلسطين ،رام الله، مركز رام الله لحقوق الإنسان، ٢٠٠٣، ص ٩.
٢. الجهاز المركزي للاحصاء الفلسطيني ، ٢٠١٢، فلسطين ،رام الله . *التقرير السنوي* :٢٠١١،ص٣.
٣. المرأة الفلسطينية بين الواقع والطموح ، مركز شؤون المرأة ، ، مجموعة أوراق عمل، فلسطين ،غزة، دائرة الإحصاء المركزية الفلسطينية – *المرأة والرجل في فلسطين* – اتجاهات وإحصاءات، ٢٠٠٦، ص١٩.
٤. المرأة الفلسطينية بين الواقع والمأمول، صلاح عبد العاطي،قطاع غزة، فلسطين ،جامعة القدس، ٢٠٠٦، ص ١١.
٥. النساء الفلسطينيات والانتخابات، نادر سعيد، فلسطين ،رام الله ، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية "مواطن"، آذار/ مارس ، ١٩٩٩، ص ص٢٧-٣٠.
٦. الانتخابات الفلسطينية لعام ١٩٩٦، من منظور نسوي ، مركز القدس للنساء ،فلسطين ،رام الله، دار الكتاب، تموز، ١٩٩٦، ص ١٩.
٧. مشكلات العمل المجتمعي ، *مراكز المرأة في المخيمات الفلسطينية* ، فلسطين ، رام الله ، مركز اللاجئين والشتات الفلسطيني شمل، ١٩٩٩، ص ٥٤.
٨. المشهد الفلسطيني الراهن، غازي الصوراني، القاهرة ، مكتبة ومطبعة جزيرة الورد، ط٢، ٢٠١١،ص ٣٧.
٩. النساء وحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني، جوديت ج. غردام، فلسطين ، غزة ،المجلة الدولية للصليب الأحمر، العدد ٥٩، مارس/آذار ١٩٩٨، ص ٤٠٦-٤٠٩.
١٠. دراسات وتقارير حول وضعية المرأة الفلسطينية،فلسطين ، رام الله، المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية "مفتاح" ، المجلد الأول، ٢٠٠٣، ص٥٤.
١١. النساء اللواتي يرأسن أسر وسوق العمل في الأراضي الفلسطينية ، سلمى البذري ، مجدلاني وآخرون، فلسطين ، رام الله، جمعية الاقتصاديين الفلسطينيين، ٢٠٠٥.
١٢. مسح القوى العاملة الفلسطينية ، فلسطين ، رام الله ،الجهاز المركزي للاحصاء الفلسطيني ، ٢٠١٢.: التقرير السنوي ٢٠١١،ص ١٦.
١٣. معاناة المرأة الفلسطينية تحت الاحتلال الإسرائيلي ،حسن بحيص وآخرون، تحرير، د. محسن صالح ،بيروت، مركز الزيتونة للدراسات الاستشارات، ٢٠٠٨ ، ص ص ١٠٢-١٠٩.
١٤. القانون الدولي لحقوق الإنسان ،عروبة الخزرجي،الاردن ، عمان ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠ ، ص ٤٠٢.

١٥. انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠ وأثرها السياسي على القضية الفلسطينية، تيسير أبو جمعة،فلسطين ،غزة، رسالة ماجستير منشورة ٢٠١٠ ، ص ٦٧.
١٦. من قلب السلطة ، عماد الفالوجي، فلسطين ،غزة ، مكتبة اليازجي للطباعة والنشر، ٢٠٠٨ ، ص ص ٢٠ - ٢٣.
١٧. دراسات منهجية في القضية الفلسطينية ، م. محسن صالح، فلسطين، مركز الإعلام العربي، ٢٠٠٣، ص٩٦.
١٨. السور الواقي ، قيس عبدالكريم أبوليلى، بيروت ، شركة التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، ٢٠٠٣، ص ١٠٣.
١٩. انهيار العملية السلمية الفلسطينية – الإسرائيلية، أين الخلل ، جيروم سليتر، أبوظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد ٤٥، ٢٠٠٢، ص ٢١.
٢٠. الانتفاضة وانعكاساتها على وضعية المرأة الفلسطينية ، مركز شؤون المرأة ، فلسطين، غزة، دراسة ميدانية على عينة ممثلة للأداء المهني في قطاع غزة، ٢٠٠٢، ص ٢٩.
٢١. مؤتمر المرأة الفلسطينية ومعركة الصمود، فلسطين، الخليل ، المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، ٢٠٠٢/٩/٢٠، ص ٤٣.

الصحف والمجلات:

١. جريدة الاهرام المسائي ،القاهرة ، ٣٠نوفمبر ٢٠١٢، العدد(٧٨٨٧)، ص١٠ .
٢. جريدة الشرق الاوسط ، جريدة العرب الدولية ، الجمعة ١٧ سبتمبر ٢٠٠٤، العدد(٩٤٢٥) ، ص ١٣.
٣. صحيفة الأيام، صحيفة فلسطينية يومية ٢٠٠١/٣/١٠، العدد (١٨٧٤)، ص ١.
٤. صحيفة الأهرام، القاهرة ، صحيفة يومية ٢٠٠١/١/٢٨، العدد (٤١٧٩٧)، ص ٢.
٥. جريدة الحياة الجديدة،غزة، ٢٦ يونيو ٢٠٠٦، العدد (٣٧٥٠)، ص١.
٦. صحيفة القدس، فلسطين ، صحيفة يومية ٢٠٠٢/٥/٣، العدد (١١١٠١) ص ١.
٧. الشرق الاوسط جريدة العرب الدولية ، الثلاثاء ٢٨ أغسطس ٢٠٠١ العدد ٨٣٠٩.
٨. جريدة القدس ،القدس، ٢٢ يوليو ٢٠٠٢، العدد (١١٨٠١)، ص١.
٩. التقرير الإستراتيجي الفلسطيني، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٢٥.
١٠. صحيفة الأيام ، رام الله ،الثلاثاء الموافق ١١ يونيو ٢٠٠٣،العدد (٣٠٣٠).

المواقع الالكترونية:

- الموقع الالكتروني لمنظمة العفو الدولية : ٢٠١٢/١٢/٣٠: الرابط: http://www.icc-cpi.int/NR/rdonlyres/C6162BBF-FEB9-4FAF-AFA9-836106D2694A/284387/SituationinPalestine030412ENG.pd
- وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى:
- http://www.unrwa.org/atemplate.php?id=53..
- الموقع الالكتروني: بوابة لبنان للتنمية والمعرفة، الحملة الدولية لإصلاح هيكلية الأمم المتحدة من أجل المساواة في النوع الإجتماعي، قسم النهوض بالمرأة، ٢٠١١، DAW. http://lkdg.org/node
- الموقع الالكتروني لموقع نساء من أجل فلسطين: ملف الاستشهاديات ، الاول من يونيو ٢٠١٢.http://www.womenfpal.com
- الموقع الرسمي على شبكة الانترنت ، للتجمع الوطني لاسر شهداء فلسطين، ٢٠١١، http://www.martyrsfamilies.pna.ps/ar/index.php?p=home.
- موقع : خدمات مركز صحة المرأة "جباليا بعد الحرب الصهيونية"، المرأة الفلسطينية خاصة والمجتمع عامة في قطاع غزة، جمعية الهلال الاحمر لقطاع غزة ، مارس ٢٠٠٩: http://www.hilal.ps/ar/news-det-22.html

المراجع الاجنبية:

- Hans-Peter Gasser, "collective economic sanctions and international humanitarian law. An enforcement measure under the United Charter and the rights of civilians to immunity: an unavoidable clash of policy goals?, vol. 56, 996, pp. 871-904.
- J. Kunz, "The chaotic Status of the laws of war and the Urgent Necessity for their Revision", *American Journal of international Law*, vol. 45, p. 37 etsuiv;